



مجلة التربوي
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن
كلية التربية / الخمس
جامعة المرقب

العدد السابع والعشرون
يوليو 2025م

هيئة التحرير

د. سالم حسين المدهون	رئيس هيئة التحرير
د. نور الدين سالم ارحومة	عضو هيئة التحرير
د. بشير علي الطيب	عضو هيئة التحرير
أ. سالم مصطفى الديب	عضو هيئة التحرير
أ. محمد حسن اقدورة	عضو هيئة التحرير
أ. محمد أبو عجيبة البركي	عضو هيئة التحرير

- المجلة ترحب بما يرد عليها من أبحاث وعلى استعداد لنشرها بعد التحكيم .
 - المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها .
 - كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها .
 - يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له .
 - البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر .
- (حقوق الطبع محفوظة للكلية)



ضوابط النشر:

- يشترط في البحوث العلمية المقدمة للنشر أن يراعى فيها ما يأتي :
- أصول البحث العلمي وقواعده .
- ألا تكون المادة العلمية قد سبق نشرها أو كانت جزءا من رسالة علمية .
- يرفق بالبحث تزكية لغوية وفق أنموذج معد .
- تعدل البحوث المقبولة وتصحح وفق ما يراه المحكمون .
- التزام الباحث بالضوابط التي وضعتها المجلة من عدد الصفحات ، ونوع الخط ورقمه ، والفترات الزمنية الممنوحة للتعديل ، وما يستجد من ضوابط تضعها المجلة مستقبلا .

تنبيهات :

- للمجلة الحق في تعديل البحث أو طلب تعديله أو رفضه .
- يخضع البحث في النشر لأولويات المجلة وسياستها .
- البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة .

Information for authors

- 1- Authors of the articles being accepted are required to respect the regulations and the rules of the scientific research.
- 2- The research articles or manuscripts should be original and have not been published previously. Materials that are currently being considered by another journal or are a part of scientific dissertation are requested not to be submitted.
- 3- The research articles should be approved by a linguistic reviewer.
- 4- All research articles in the journal undergo rigorous peer review based on initial editor screening.
- 5- All authors are requested to follow the regulations of publication in the template paper prepared by the editorial board of the journal.

Attention

- 1- The editor reserves the right to make any necessary changes in the papers, or request the author to do so, or reject the paper submitted.
- 2- The research articles undergo to the policy of the editorial board regarding the priority of publication.
- 3- The published articles represent only the authors' viewpoints.





مفهوم الهوية عند رضوان السيد

عبدالمنعم إمام محمد سالم

جامعة طرابلس - كلية الآداب واللغات

Abdalminem2000@gmail.com

نورالدين سالم رحومه قريبع

جامعة المرقب - كلية التربية

n.s.guraiba@elmergib.edu.ly

ملخص البحث:

تناول هذا البحث مفهوم الهوية عند رضوان السيد، وربطه لهذه الهوية بالهوية العالمية الإنسانية. وكما توقفنا عند الملامح العامة لمشروع السيد والقائم على تنظيم العلاقة بين الدين والدولة، بحيث يستقل الدين عن الدولة، لضمان عدم تسييسه، وضرورة إقامة العلاقة بين الحضارات على أساس الحوار وليس الصراع، انتقلنا إلى مفهوم الهوية عنده وأهمية هذا المفهوم، لننتهي إلى أن السيد يرى أن فكر الهوية هو فكر سلبي لأنه يعبر عن أزمة، وأنه لا بد أن نحل الأزمات التي تدفعنا إلى الالتجاء للهوية خوفاً من المستقبل، وهرباً من انسداد الأفق السياسي. وغني عن البيان أن مثل هذه المهام تطلبت من السيد القيام بنقد واسع للأفهام الأيديولوجية وللفقه الإسلامي الذي يريد السيطرة على المجال الثقافي العام للمجتمعات، الأمر الذي يتوجب تحويل المرجعية من الشريعة إلى الأمة، وهو ما كان الوضع عليه في بداية الإسلام.

الكلمات المفتاحية:

رضوان السيد - الهوية الإنسانية العالمية - الدين والدولة - الحوار بين الحضارات - الفكر الإسلامي المعاصر - المرجعية الشرعية - النقد الأيديولوجي.





المقدمة:

يعد المفكر اللبناني المعاصر رضوان السيد⁽¹⁾ من المفكرين القلائل الذين أفردوا جزءاً أساسياً من كتاباتهم لقضية الهوية في المجال العربي الإسلامي، وما يتفرع عن هذه القضية من تداخلات مع قضايا تتعلق بالأيديولوجية والغرب والاستشراق والفقهاء ومختلف المفاهيم الثقافية والسياسية.

أما الخطوط العريضة لآرائه الثقافية فتقول بأن الدولة مدنية في الإسلام، وأن مهمة تطبيق الشريعة تلقي على عاتق الأمة (أي الناس) وليس على الدولة، وأن الهوية هي فكر أزمة تلجأ إليها الشعوب عندما تزداد الأخطار التي تحرق بها، مثلما أن الحديث عن خصوصية إسلامية هو حديث ناجم عن نزعة عدوانية تجاه الآخر، ولا يراعي التجربة التاريخية وطابعها العالمي، التي تؤكد على الاندماج والتلاؤم. فالحديث عن هوية خصوصية لا يؤدي في النهاية إلا إلى حرمان الحضارة والشعوب الإسلامية من التفاعل من الحضارات العالمية الأخرى، والانزواء في دائرة التعصب أو التهميش، ناهيك عن الانغلاق.

ولذلك يعد السيد واحداً من ممثلي التيار الإسلامي التتويحي الذي لا يجد أي شيء يمنع من القول بأن الإسلام يقبل الديمقراطية، وأنه يتوافق مع العقد الاجتماعي، كما تمت صياغته في

(1) رضوان السيد هو أستاذ في الجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير مجلة الاجتهاد اللبنانية سابقاً، ورئيس تحرير مجلة التفاهم العمانية حالياً، ولديه عدد كبير من الكتب والمقالات العلمية. مهتم بقضايا الإسلاميات والاستشراق والهوية وسوسيولوجيا الحضارة العربية الإسلامية. تدور أفكاره حول نقد الاستشراق والتأكيد على دراسة الحضارة الإسلامية دراسة أنثروبولوجية، كما أنه من الذين يؤكدون على ضرورة التوفيق بين القيم الإسلامية الحضارية وبين قيم الحداثة الغربية. من كتبه: مفاهيم الجماعات في الإسلام 1993، الأمة والجماعة والسلطة 1984، الإسلام المعاصر - نظرات في الحاضر والمستقبل 1986، الجماعة والمجتمع والدولة - سلطة الإيديولوجيا في المجال السياسي العربي الإسلامي 1997، المستشرقون الألمان - النشوء والتأثير والمصادر 2007.



الغرب مع بداية العصور الحديثة، وأنه لا بد من الفصل بين المجالين السياسي والديني، حتى لا نقع في دخول الدين على معادلات السلطة والهيمنة. أما الطريقة الأكثر فاعلية لتحليل ودراسة التجربة الإسلامية وإدماجها في تيار العصر الحالي فهي إخضاع التاريخ الحضاري الإسلامي، وما فيه من فقه وعلم كلام وحركات إسلام سياسي وصراعات مذهبية وإثنية للمناهج العلمية الحديثة، ولا سيما لعلم الاجتماع الديني والأنثروبولوجيا وتاريخ الأفكار.

وعلى العموم فإن أزمة الهوية في العالم العربي تعود لدى السيد، إلى ثلاث فرضيات يناقشها كل على حده، وهذه الفرضيات هي:

(1) الصراع على الإسلام صراع مزدوج.

(2) خطاب الهوية الإسلامية تعبير عن الصراع الناشب على الإسلام.

(3) مأزق الفكر الإسلامي متعلق بالرؤية السائدة للعالم فيه⁽²⁾.

ويقصد بالصراع المزدوج على الإسلام، أن الأمر لا يقتصر على نظرة الغرب للإسلام، أو نظرة الإسلام للغرب، بل يتعداه أيضاً إلى وجود انقسام بين المسلمين أنفسهم، بين "السلفيين" من جهة و"الإصلاحيين" من جهة ثانية. الفريق الأول يعتبرون إشكالياتهم الأساسية هي "صون الهوية الإسلامية الطهورية بإزالة التقليد عنها، واستنهاض المسلمين لنصرة عقيدة التوحيد الصافية"⁽³⁾. أما الفريق الإصلاحي فقد اعتمد على الاجتهاد بغية "تجاوز التقليد الإسلامي العاجز عن التصدي للإجابة على التحديات من أجل تحقيق تقدم مدني وثقافي وسياسي، يخرج من التخلف، وينتصر للندية مع الغرب الهاجم... السيل الذي لا يمكن دفعه"⁽⁴⁾. وقد أخذ الصراع بين الفريقين أشكالا

(2) رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة التسامح، العدد 9، 2005، ص 63.

(3) المرجع نفسه، ص 63.

(4) المرجع نفسه، ص 63.



وطرقاً مختلفة، مباشرة أو غير مباشرة، حتى وصل الأمر إلى أن الإصلاحيين اتهموا السلفيين بالإرهاب، واتهم السلفيون الإصلاحيين بالاعتقالات (5).

أما المقصود بتأثر خطاب الهوية الإسلامية بالصراع الناشب على الإسلام، أن هناك خطاباً إسلامياً يقول بضرورة إقامة الدولة الإسلامية المتكاملة، التي تطبق الشريعة وحكم الله، وذلك هو الحل الوحيد لمواجهة الأخطار التي تحق بالمسلمين من كل حذب وصوب (6)، في حين يراد بالفرضية الثالثة بأن هناك مأزق يعانيه الفكر الإسلامي ناتج عن الرؤية السائدة في العالم عن الإسلام، فهو يركز على الخطاب الإسلامي في صراعه مع الغرب، والتأكيد الدائم على أن ذلك الغرب هو العدو الوحيد والمطلق، ولا بد من التعالي على كل الخلافات والمشاكل والتفرغ للتصدي له، فهذا الخطاب يقع فريسة للخطاب العدائي القادم من بعض الأوساط في الغرب، بحيث وصلنا إلى ما يسميه السيد بخطاب شمولي أو خطاب المؤامرة (7).

وما يريد أن يصل إليه السيد من كل هذه التصنيفات والفرضيات وأنواع الصراعات هو القول بأن مسألة الهوية هي مسألة معقدة ومركبة، وتدخل فيها عناصر داخلية وخارجية، ولذلك لا بد من الخروج من حالة التبسط التي يشهدها الفكر العربي. فالإسلام ليس واحداً، بل هو فرق ومذاهب ومدارس وتيارات مختلفة بل ومتناقضة في بعض الأحيان، كما أن الغرب ليس واحداً بل له عدة مستويات تحدد كيفية التعامل معه. يضاف إلى كل ما سبق أن التناقضات الداخلية للعالم العربي واسعة وأعقد من أن تحدد بدقة، فهناك صراع بين الدول الحديثة والإسلاميين، وهناك صراع بين الإسلاميين أنفسهم، وهناك صراع بين الغرب والدول الحديثة نفسها. ولذلك لا بد من

(5) رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة التسامح، العدد 9، 2005، ص 63

(6) رضوان السيد، الهوية والثقافة بين الثوابت والمتغيرات، مجلة التسامح، العدد 13، 2006، ص 5.

(7) رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 62.



النظر إلى كل تلك الاختلافات إذا أردنا أن نناقش مسألة الهوية في العالم العربي المعاصر. وهذا يعني في النهاية أن لكل تيار الهوية الخاصة به، والتي قد تختلف عن هوية الفريق الآخر.

(1) الهوية والغرب:

ينطلق السيد في فلسفته عن الهوية من أن الهوية ترتبط دائماً بالخطر الخارجي، ولذلك لا يمكن إغفال دور الغرب الاستعماري في بروز الهوية الإسلامية في العصر الحديث. ويبدو أن السيد يعتقد أن خطر أمريكا كان له دور أكبر من خطر الغرب الأوروبي في تمترس الإسلاميين خلف هويتهم. فهو يذهب إلى "أن الإسلاميين، ولاسيما أبو الحسن الندوي وأبو الأعلى المودودي... تنبهوا بشكل مبكر، وأكثر من غيرهم إلى خطر (الرسالة) الأمريكية وخطورتها من وجهة نظرهم على الهوية الإسلامية. ما كانوا خائفين من استمرار نفوذ الأوروبيين المستعمرين الذين انكسف نجمهم في الصراع العالمي الكبير، بل خافوا من الجاذبية الأمريكية الجديدة"⁽⁸⁾.

ويعود مثل ذلك الخوف إلى الخشية مما أسموه "بريق أمريكا الوهاج"، الذي قد يذوب الخصوصيات والهويات الدينية والمحلية في بوتقة الثقافة الأمريكية الصاعدة. ولذلك فلا فرق عندهم بين أمريكا الجديدة والغرب الاستعماري سوى في الأساليب. كما هو الأمر بالنسبة لسيد قطب الذي يؤكد أن الأرض الجديدة تتميز "باستثارة الغرائز والحريات المنفلتة من عقالها... فمشكلة المسلمين أن الاستعمار الأوروبي استخدم العنف العسكري والثقافي والسياسي لإزالة هويتهم أو إضعافها فلم يستطع ذلك، وإن لم يكن قد ترك أثراً غابرة. والآن تأتي الولايات المتحدة لتحقيق بالإغراء ما عجز الآخرون عن تحقيقه بالقوة، ولذلك فالحذر يجب أن يكون أشد وأكبر"⁽⁹⁾. وفي القرن الواحد والعشرين لم تتغير الصورة كثيراً، لأن الأطروحات المعادية للعرب والإسلام،

⁽⁸⁾ رضوان السيد، الهوية الثقافية بين الثوابت والمتغيرات، مجلة التسامح، العدد 2006، 13، ص 2-3.

⁽⁹⁾ المرجع السابق، ص 3.



وسياسات أمريكا المنحازة لإسرائيل وحربها على العراق عام 2003، أجمت "الحساسيات الدينية والخصوصيات الثقافية ووسائل أخرى حميمية تتعلق بإحساس الناس ومشاعرهم، وما يعتبرونه خاصاً وعزيراً"⁽¹⁰⁾. ولذلك فإن السيد يطلق على النزاع بين الإسلاميين والغرب توصيف النزاع الأيديولوجي، ويقصد بذلك أن النزاعات ذات الطابع الأيديولوجي يغيب عنها التفسير والتفاهم والعقلانية، ويسودها الأفكار المسبقة والنظرة العدوانية المطلقة، وهذا الأمر ينطبق على أمريكا والإسلاميين. ويستشهد على ذلك بقول بعض المفكرين الأمريكيين بأن "القاعدة" هاجمتهم عام 2001م، ليس بسبب السياسات الاستعمارية الأمريكية، بل بسبب طريقة المسلمين أنفسهم في التفكير والعيش والنظرة العدوانية للآخر، وذلك للخروج في النهاية بأن حربهم على "الإرهاب" أو "الإسلام"، ليس في النهاية سوى حرب الدفاع عن قيم الحرية والديمقراطية والعقلانية والحدائية⁽¹¹⁾.

2) من مفهوم التقدم إلى إشكالية الهوية:

يذهب السيد إلى أن الفكر العربي المعاصر قد تراجع كثيراً عن فكر عصر النهضة. ويتمثل هذا التراجع في أن الفكرة الأساسية لفكر عصر النهضة كانت هي "التقدم" أي تحقيق التقدم في مختلف المجالات للحاق بالركب الحضاري، دون أي حساسية تذكر من الأخذ بأسباب التقدم الغربي. أما الفكر الأساسية التي أخذت توجه الفكر العربي المعاصر، بدءاً من منتصف القرن العشرين، فهي فكرة الهوية، والخوف على كيان الأمة من الآخر، وهذا يشكل تراجعاً كبيراً في منظار السيد.

ولذلك نجد السيد يعود إلى فكر عصر النهضة ليجدها فكراً مبدعاً وعقلانياً ومتحرراً من المبالغة في هواجس الهوية، حيث "كانت الكتابات الإسلامية لرجال (النهضة) في النصف

⁽¹⁰⁾ رضوان السيد، الإنسان وحقوقه لدى المسلمين، مجلة التسامح، العدد 18، 2007، ص14.

⁽¹¹⁾ رضوان السيد، الإنسان وحقوقه لدى المسلمين، مجلة التسامح، العدد 18، 2007، ص14.



الأول من القرن العشرين كتابات إبداعية، تنشّد التواصل النظري والمنهجي، وتبني التقدم... وقد ظهرت في زمنها مشروعات ثقافية كبرى مثل مشروع أحمد أمين للتاريخ الثقافي الإسلامي، ومشروع مصطفى عبد الرزاق للفلسفة العامة للحضارة الإسلامية، ومشروع طه حسين بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية لإحياء التراث العربي والإسلامي ونصوصه⁽¹²⁾.

أما كتابات المفكرين العرب والإسلاميين في النصف الثاني من القرن العشرين فقد تركزت حول فكرة الهوية والأصالة⁽¹³⁾. ولذلك نجد في هذه الكتابات تراجع لفكرة التقدم واللاحق بالركب الحضاري الغربي، مثلما نشهد تراجع التساهل مع الأخذ بأسباب التحضر الغربي، والاستفادة من المناهج العلمية الحديثة لصالح فكرة "القطيعة مع الغرب"، والتأكيد على خطورة "الغزو الثقافي"، والتحذير من إمكانية ابتلاع الحضارة الغربية لحضارتنا الإسلامية، ولذا فإن الأفضل أو الأصح هو إحداث القطيعة، بحيث تسيطر أصالتنا من جديد، ونبنى نموذجنا الخاص المنفصل وليس المتواصل، لأن التواصل مستحيل بالشروط والظروف السائدة. وهذه هي الفكرة الأساسية لجماعة الأصالة⁽¹⁴⁾.

أما السمات العامة لفكر الهوية هذا فيمكن إيجازها في النقاط التالية:

(1) يعتبر هذا الفكر أن الدين في خطر، ولذلك لابد من مواجهة ذلك الخطر، سواء بشكل شخصي، أو عن طريق الالتزام بالقضايا العامة.

⁽¹²⁾ رضوان السيد، الهوية الثقافية بين الثوابت والمتغيرات، مجلة التسامح، العدد 2006، 13، ص 2-3.

⁽¹²⁾ المرجع السابق، ص 3.

⁽¹²⁾ رضوان السيد، الإنسان وحقوقه لدى المسلمين، مجلة التسامح، العدد 18، 2007.

⁽¹³⁾ المرجع نفسه. راجع الموقع المذكور.

⁽¹⁴⁾ رضوان السيد، التفكير الإسلامي في زمانين، جريدة الشرق الأوسط، تاريخ 2012/7/3، راجع موقع



(2) المنهج المناسب لهذه المرحلة الحساسة هو منهج التأصيل، بحيث لابد أن يتمسك الناس بالكتاب والسنة والشعائر الإسلامية، وأن يتمسك المختصين باستخراج الأحكام من النصوص الأولى.

(3) لابد من أن يكون النظام السياسي بيد ممثلي الدين من أجل اكتمال تطبيق المنهج، وهذا يتطلب الدمج بين الدين والدولة، وأن يتحول الدين إلى منهج إسلامي متكامل في شتى مناهج الحياة العقلية والشعورية والمادية.

(4) التركيز على فكرة الهوية بوصفها فكرة عقائدية، ولذلك تجد مفكري الهوية كثيراً ما يهتمون (بالرموز) على حساب الواقع والتجربة التاريخية⁽¹⁵⁾.

غير أن كل ما يهتم السيد هو هذا الفكر الهوياتي الذي أخذ يجتاح الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ولاسيما الفكرين الإسلامي والقومي، مع بعض الاختلافات في بعض القضايا الجزئية، وأسباب ظهوره القريبة والبعيدة، فمعرفة الأسباب تساعد على الفهم، وتفتح آفاق النقاش الموضوعي وتطرح إمكانية الحلول. وفي هذا السياق يمكن أن نجمع بعض الأسباب التي تتكرر في كتابات السيد لظهور فكرية الهوية، ولاسيما الإسلامي منه، في هذه الحقبة المعاصرة، وهذه الأسباب هي⁽¹⁶⁾:

(1) فساد الدولة العربية المعاصرة وفشلها في تحقيق مطالب التنمية والعدالة، وضربها بعرض الحائط كل المطالب بالحريات وحقوق الإنسان. وهو ما يسميه السيد بـ"التجربة السياسية المؤسسية"، فالمتأمل لوضع الدولة العربية المعاصرة يجد أنها تعاني من افتراق كبير بين مؤسساتها وبين الشعب، كما تعاني من افتراق أيضاً بين أهدافها وديناميتها وبين سياساتها الواقعية من جهة ثانية.

⁽¹⁵⁾ رضوان السيد، الهوية والثقافة بين الثابت والمتغيرات، مرجع سابق، ص 6.

⁽¹⁶⁾ رضوان السيد، الهوية والثقافة بين الثابت والمتغيرات، مرجع سابق، ص 6.



(2) السياسات الاستعمارية الغربية، التي سعت وتسعى للهيمنة على المنطقة العربية والإسلامية، والحاقها بالسياسات الرأسمالية الإمبريالية، وبروز نزعة عدائية غربية تجاه العرب والمسلمين عموماً. وهو ما يغذي أيضاً مشاعر العدوان والعودة إلى التمسك بالهوية لمواجهة تلك السياسات. فبروز ما يسميه السيد بـ"الإحيائية البروتستانتية النازية"، والجمهوريون الجدد في أمريكا كانت لهما دوراً كبيراً في العودة إلى التفكير بهوية الأمة وتحصينها من السياسات العدوانية الغربية.

(3) الوضع الاستراتيجي المهم للعالم الإسلامي والمنطقة العربية، والمتمثل بالثروات العربية البترولية الكبيرة، وبالممرات الاستراتيجية الهائلة الأهمية.

إن الأسباب الثلاثة السابقة لعبت دوراً كبيراً في تأزيم فكر الهوية، والدفع بالتيارات الإسلامية المختلفة نحو الانغلاق، والعداء تجاه الآخر، والتمسك بالهوية بوصفه فكراً خلاصياً وهمياً، يعمل على تغييب الواقع وتعقيداته وهمومه، لصالح فكر أيديولوجي يؤكد على أهمية الجوانب المعنوية والرمزية، ويهمش الجوانب العملية والمطالب الواقعية للحياة. والأهم من هذا وذاك، أن فكر الهوية هذا يخفي الأهداف السلطوية للقائلين به، ويحشد الناس لمعارك هم في النهاية ليسوا أكثر من وقود لها، ولا يراد منها سوى الهيمنة عليهم، إما باسم الدين أو باسم القومية، أو باسم أي أيديولوجية كانت.

(أ) الهوية بين الخصوصية والعالمية:

لقد أفرزت النقاشات التي دارت في الفكر العربي المعاصر، حول مسألة الهوية، تيارين رئيسيين لكل منهما مبادئه ومنطلقاته ومنهجه الخاص، وهذان التياران هما الاتجاه الخصوصية والاتجاه العالمي. ويذهب الاتجاه الخصوصية إلى أنه وعلى الرغم من أن الأخذ بأسباب الحضارة الغربية وقيمها الحداثية، هو أمر لا مفر منه إلا أننا يجب في النهاية أن نحافظ على خصوصيتنا الإسلامية، ولذلك لا بد من أن يكون لنا نظام حكم إسلامي خاص بنا وحقوق إنسان خاصة بنا،



ومفهوم إسلامي خاص بالديمقراطية، وبالعلاقة بين الدين والدولة، ناهيك عن الدور الذي يريده هذا الاتجاه لعلماء الدين في مختلف الشؤون الحياتية. فمثل تلك الخصوصيات والتحوطات ضرورية لحفظ شخصية الأمة وصون كيائها المستهدف. ويمثل هذا التيار مختلف الاتجاهات والمدارس الإسلامية والقومية.

أما الاتجاه الثاني، فهو الاتجاه العالمي الذي يرى أن الإسلام هو دين ذو طابع إنساني عالمي شامل، وهو موجود بفاعلية منذ نحو أربعة عشر قرناً، وأنه تفاعل مع شعوب وحضارات وأمم مختلفة، ولذلك فإن من الأمور التي لا تضير الإسلام في الشيء أن يبحث داخله عما يتفق ويتلاءم مع قيم ومبادئ الحداثة الغربية، من دون الحديث عن أي خصوصيات تخاف من العولمة وآثارها، أو تخشى على الشخصية الإسلامية من الضياع أو الذوبان في الحضارة العالمية.

ويعد السيد من أعلام الاتجاه العالمي الذي يرفض الحديث عن أي خصوصية للحضارة الإسلامية، لأن قيم الدين الإسلامي عنده هي نفسها القيم والمبادئ العالمية، مثلما أن للقيم العالمية جذور في الإسلام. ولذلك فإنه يقترح أن تكون العلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية علاقة اندماج أو تلاؤم، لأن الذي يرجع إلى الثقافة الإسلامية سرعان ما يلاحظ أنها "ثقافة عالمية ظهرت في هذا العالم ومرت بالمراحل التي مرت بها الثقافات الكبرى، ونحن اليوم جزء من هذا العالم وفيه، ولسنا خارجه"⁽¹⁷⁾، ولذلك لابد من الاستفادة من الاتجاهات العالمية المعاصرة التي تعطي الاعتبار للتنوع الثقافي والإنساني، وتؤكد على أن "الترباط والتساند والتواصل بين الحضارات والثقافات والأمم، ليس اليوم فحسب بل منذ آلاف السنين أيضاً، فالتنوعات أنساق فرعية عن النسق العالمي العام"⁽¹⁸⁾، واليوم لابد لكل كيان ثقافي من أن يكون جزءاً أساسياً من "الكونية الصاعدة"، التي تتضمن "مجالات رحبة للنزوع الإنساني نحو القيم الشاملة والرفيعة

⁽¹⁷⁾ رضوان السيد، الصراع على الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 2000، ص13.

⁽¹⁸⁾ المرجع السابق، ص16



للمساواة وعدم التمييز، والتضامن البشري، والثقة بإمكانيات الإنسان (فرداً أو جماعة)، للعيش بسلام وحرية وانسجام⁽¹⁹⁾.

أما بالنسبة للتوجه الخصوصي الذي يلح على الهوية الإسلامية، والاحتفاظ بوضع استثنائي للعالم العربي الإسلامي، فإنه لا يفعل – بحسب السيد – أكثر من دفع هذا العالم إلى التوقع والانكماش داخل خصوصية وهويات وهمية، تقوم على تخيلات سياسية ودينية بعيدة كل البعد عن الواقع المتشابك، ولذلك فإن السيد يرفض التوجه الخصوصي لأنه يعتقد أن هذا التوجه يختزل الإسلام إلى مجرد أيديولوجية مواجهة، "يضع المسلمين ودينهم بين حدي سكينه"⁽²⁰⁾. فمشكلة التوجه الخصوصي أنه لا يقرأ التوجهات العالمية قراءة واعية، وأن مواجهة التحديات الخارجية والداخلية لا يتم عبر التوقع على خصوصية وهمية تهيمن على الفقه وتدفعه إلى الانغلاق حول ذات نرجسية، بل عبر العمل الدائم على نقد الذات وغربة التراث، وتقوية الأمة بالديمقراطية والتنمية، والسعي إلى إقامة حياة مشتركة مع كل الأمم، تقوم على التسامح والمساواة، فمشكلاتنا هي من ضعفنا وناتجة عن أفعالنا وليس عن أي كيان آخر.

ويرى السيد أن التوجه العالمي هو توجه أصيل داخل الحضارة الإسلامية، وأن التأمل في التجربة الحضارية الإسلامية ونصوص القرآن الكريم، تؤكد مثل هذا التوجه العالمي داخل الإسلام نفسه، ومنذ العصور الأولى. فالإسلام دين يؤمن بالوحدة البشرية، والمساواة بين البشر، كما أنه دين يتضمن رؤية عالمية تقوم على وحدة الطبيعة الإنسانية⁽²¹⁾.

⁽¹⁹⁾ رضوان السيد وأحمد برقايوي، المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1998، ص118.

⁽²⁰⁾ رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص64.

⁽²¹⁾ رضوان السيد، الدين والمجتمع والدولة – في العلاقات والمراجعات والمصائر، مجلة التسامح، العدد 17، 2007، ص21-22.



وهذا يعني أن الحديث عن أن مهمة الدولة هي تطبيق الشريعة، وأن الشريعة وليس الإجماع أو الأمة هما مصدر السلطة وأساس الدولة، وأن الحديث عن وضع خاص للمرأة، وما يقال عن أحكام الردة... إلخ، كلها أمور اجتهادية، وليست قرآنية⁽²²⁾، لأنها أمور لعبت الأوضاع السياسية وتعقيدات الصراع المذهبي والسياسي على السلطة، وسياسة الاستقواء التي مارستها بعض الأطراف، دوراً كبيراً في تأجيحها، وأن القرآن لم يكن ليقبل بمثل تلك التجاوزات على حرية الإنسان وكرامته، فالبشر بالنسبة للقرآن الكريم "متساوون في القيمة والحقوق والواجبات"⁽²³⁾، بغض النظر عن الاختلاف في الدين أو العرق.

حتى إن الرجوع إلى التجربة الإسلامية التاريخية يؤكد مثل هذا التوجه العالمي الذي يقوم على احترام حياة البشر وحقوقهم وحياتهم، بغض النظر عن دينهم أو مذهبهم. فالسيد، وبعد عودته إلى الفقه عند كل من الشاطبي والجوني والغزالي، يجد أنهم نظروا إلى الشريعة على أساس أنها أنزلت على البشر من أجل أربعة حقوق للإنسان، وهي: النفس (حق الحياة)، الملك، الدين، العقل، لدرجة يذهب معها الشاطبي إلى أن هذه الأمور والقوى الإنسانية هي القصد النهائي للشريعة لأنها مراعاة في كل ملة⁽²⁴⁾. وهذا يعني في النهاية أن الإسلام لا يعطي أي خصوصية حقوقية أو أخلاقية أو اجتماعية للمسلمين، وأنه كثيراً ما خاطب الناس بالبشر والأمم، الأمر الذي يؤكد على عالميته. أما اهتمام الفكر الإسلامي المعاصر بقضية الخصوصية والهوية فيعود إلى الأوضاع السياسية والعالمية الحديثة وليس إلى الدين الإسلامي نفسه.

(22) رضوان السيد، التعدد والتسامح والاعتراف – نظرة في الثوابت والفهم والتجربة التاريخية، مجلة التسامح، العدد 12، 2005، ص14.

(23) رضوان السيد، القرآن والتاريخ – الرؤية القرآنية في الأمم والحضارات، مجلة التسامح، العدد 29، 2009، ص14.

(24) رضوان السيد، الإنسان وحقوقه لدى المسلمين، مجلة التسامح، العدد 2007، 18، ص11.



وما يقال عن الأمور الحضارية والإنسانية يقال أيضاً عن السياسة، فالقول بضرورة قيام نظام إسلامي خاص في العالم الإسلامي، يراعي خصوصية القيم الإسلامية وعقائد المسلمين، هو أيضاً كلام لا يستند إلى القرآن الكريم، بقدر ما يعود إلى ظروف السياسة والصراع على السلطة، والاستقواء على المسلمين، والنزعة التسلطية لدى بعض الحكام، الذين يبرعون في توظيف الدين لخدمة مصالحهم. فمصدر السلطة بالنسبة للسيد هو (إجماع الأمة) وأنه لا مرجعية فوق الأمة (أي الناس). أما القول بأن الشريعة هي المرجعية ومصدر السلطات فسببه (الفوضى) في تحديد المرجعيات، واستقواء الأحزاب الإسلامية على الناس. ولذلك نجد السيد يؤكد على أن "الشأن السياسي أو إدارته لا علاقة له بالشأن الديني... وأن المجال السياسي كان متميزاً عن المجال الديني في الحضارة الإسلامية، ولذلك لم يحصل صراع بينهما كما حصل في الغرب الوسيط، ولأن المؤسسة الدينية الإسلامية ما ادعت حق الإمرة في المجال العام"⁽²⁵⁾.

هكذا نجد أن السيد لا يعطي أي خصوصية للعالم الإسلامي، سواء خصوصية حضارية أو حقوقية أو سياسية، فبالنسبة له الإسلام يقول في النهاية بشمولية العقل ومرجعيته، والحق الطبيعي، والعقد الاجتماعي، والحقوق الفردية. فشمولية العقل موجودة في الإسلام لأن الإيمان عنده مبني على العقل، والحديث عن حقوق الإنسان يقابله في الإسلام الحديث عن كرامة الإنسان واستخلافه على الأرض، وحديث الإسلام عن "التعارف" و"الاعتراف" أمر لا يختلف كثيراً عن مفهوم العقد الاجتماعي في الغرب، أما الحديث عن الحقوق الفردية فتؤكد عدة مبادئ في الدين الإسلامي التي تقوم على عدم الإكراه في الدين، وأن كل امرئ بما كسب رهين، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى⁽²⁶⁾.

⁽²⁵⁾ رضوان السيد، الإسلام ومشكلات الدولة الحديثة، مجلة التسامح، العدد 29، 2010، ص230.

⁽²⁶⁾ المرجع السابق، ص230.



(3) أهمية الهوية عند السيد ودلالاتها:

- يتفق السيد مع بول ريكور، وأعلام الفكر الليبرالي الحديث، بأن فكر الهوية هو فكر أزمة، ناتج عن الخوف الشديد على وجود الذات الحضارية للأمة، وقلة الثقة في القدرة على مواجهة التحديات الخارجية. فأزمة الهوية ناتجة عن ظهور دول، يعتقد غالبية الناس أنها لا تمثلهم، ولا تحترم حقوقهم، بل إنها قد تتشارك مع الغزاة والمتآمرين من الخارج، في كثير من الأمور، الأمر الذي يعني في النهاية أن هذه الدول نفسها تشكل خطراً على الأمة والهوية والمستقبل، وأنها موجودة في النهاية لخدمة مصالحها الضيقة أولاً، ولإبقاء الشعوب غارقة في بحور التخلف والأوهام الإيديولوجية المزيفة ثانياً، وذلك لتسهيل حكم الناس وإدارتهم والسيطرة عليهم.
- وعلى ذلك فإن أزمة الهوية - بهذا المعنى - هي أزمة سياسية، وليست أزمة ثقافية أو حضارية. ذلك أن انسداد الأفق السياسي هو الذي يدفع الناس للهروب باتجاه الثقافة لكي تحميهم وتحفظ وجودهم المهدد سياسياً. فالحديث عن هوية خاصة بالعروبة والإسلام، وخصوصية للحضارة الإسلامية، هو في النهاية هروب من الاستحقاقات السياسية، وعدم تمكن الأمة من تحقيق الديمقراطية والعدالة. وقد زادت الأوضاع الصعبة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي من أزمة الهوية، ولاسيما احتلال فلسطين من قبل إسرائيل، وانتشار الأنظمة الديكتاتورية الفاسدة، والسياسات العدوانية الغربية، واحتلال أمريكا للعراق عام 2003.
- إن فكر الهوية الإسلامي يكتسب مشروعيته من فكرة خاطئة مفادها أن غالبية المسلمين يعتقدون أن الإسلام هو الذي سيخلصهم من الديكتاتوريات والفساد، وهو الذي سيعيد للأمة ازدهارها وقوتها اللذان غابا عنها لقرون طويلة. وقد سعى أعلام التوجهات الإسلامية في الفكر العربي المعاصر إلى التأكيد على هذه الفكرة، لأن المجتمعات التي تعاني من الظلم والفساد والتخلف والأمية، مجتمعات مؤهلة لأن يلعب فيها رجال الدين والفقهاء دوراً كبيراً على كافة المستويات. وعلى ذلك فإن فكر الهوية هو لعبة يلجأ إليها ما يسمى بـ"العلماء المؤهلون"، لكي يقدموا الحلول للأمة، على أن



يكونوا هم القوامون على تلك الحلول، وأن يقوموا هم وحدهم بقيادة الأمة، دون التوضيح بأن مشاكل الفساد والبطالة والتخلف والضعف العسكري والمالي الذي تعاني منه الشعوب الإسلامية، ليس للدين الإسلامي أي دخل فيه، وبالتالي فإنه ليس هو الذي يمتلك المفاتيح. فالأزمة برمتها هي أزمة سياسية، وفكر الهوية سيتراجع كلما تمكنت الأمة من أن تخطو خطوات ثابتة في طريق الديمقراطية والحدثة والعدالة، والتأسيس لدول المؤسسات، وتأمين حقوق الناس قدر الإمكان.

- يعتقد السيد أن فكر الهوية سيبقى ما دامت الشريعة الإسلامية هي المرجعية، بدلاً من الأمة أو الناس. فللسيد نظرية واضحة في هذا الأمر، ومفادها أن السلطة والمرجعية في الإسلام وهي للأمة أو للناس، وأن كل الدساتير والقضايا الكبرى والمبادئ التي تقام عليها الدول، أمور يجب أن تخرج من الشارع ومن اتفاق الناس عليها، وأنه ليس لرجال الدين أي مكانة تميزهم عن غيرهم في هذا الموضوع، فالدولة الإسلامية كانت دولة مدنية، ولم تكن من مهماتها تطبيق الشريعة، إلا في عصور لاحقة حيث تحول الفقهاء إلى مجرد تابعين للسلطان، يحللون ما يريده ويحرمون ما ينهى عنه. وعلى ذلك فإن السيد يطالب بتصحيح الأوضاع، وإعادة السلطة إلى الناس. وبلغة ليبرالية فإن مصدر السلطة هو الشعب، وليس الحاكمية لله، كما يذهب غالبية أقطاب التيار الإسلامي. يقول السيد في ذلك: "الدولة المدنية إذن تقوم على المواطنة، وأن الأمة مصدر السلطات. ويظل الدين مصوناً والتدين حراً ما دام لا يستتبع الدولة، ولا النظام السياسي يستتبعه. وهذه الأمور جربت أمة قبلنا فنستطيع الاستفادة من تجاربها، ولا داعي للدخول من جديد في تجربة الدولة الدينية أو النظام السياسي الحاكم باسم الدين، وليس باسم الأمة"⁽²⁷⁾.

- إن تفكيك مفهوم الهوية في المجال الإسلامي يحتاج لخطاب نقدي، يفضح الأوهام الأيديولوجية، ويعري السلطات القابعة خلف خطاب الهوية. وهذا كله يحتاج إلى إعادة قراءة كل الفكر الهوياتي الذي يسيطر على الخطاب العربي الإسلامي منذ منتصف

⁽²⁷⁾ رضوان السيد، نقاش الدولة المدنية بعد الثورات، جريدة الاتحاد، تاريخ 2013/2/24.



القرن العشرين. ولذلك نجد السيد يطالب بتفكيك علاقة الإسلام بالمجتمع، وعلاقة الإسلام بالسياسة، وعلاقة رجال الدين بالسياسة، وعلاقة السياسة بالشرعية... إلخ. فمناقشة مثل تلك الأمور الحساسة وإخضاعها للتحليل والدراسة هو الذي يبين علاقة السلطة والهيمنة التي تقبع خلف تلك العلاقات، والصراعات التي تدور بشكل خفي وراء تلك المفاهيم. وهذا يتطلب "إصلاح، بيد أن الإصلاح ليس إجراءات وحسب، بل بيئات وعزائم ونهضويات... فالأزمة شاملة، وقد نالت من المسلمين، وهي تتال الآن من الإسلام" (28).

المصادر والمراجع

- 1-رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة التسامح، العدد 9، 2005
- 2-رضوان السيد، الهوية والثقافة بين الثوابت والمتغيرات، مجلة التسامح، العدد 13، 2006
- 3-رضوان السيد، الهوية الثقافية بين الثوابت والمتغيرات، مجلة التسامح، العدد 13، 2006.
- 4-رضوان السيد، الإنسان وحقوقه لدى المسلمين، مجلة التسامح، العدد 18، 2007
- 5-رضوان السيد، التفكير الإسلامي في زمانين، جريدة الشرق الأوسط، تاريخ 2012/7/3، راجع موقع رضوان السيد www.ridwanalsayid.com
- 6-رضوان السيد، الصراع على الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 2000
- 7-رضوان السيد وأحمد برقاي، المسألة الثقافية في العالم العربي - الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1998.
- 8-رضوان السيد، الدين والمجتمع والدولة - في العلاقات والمراجع والمصائر، مجلة التسامح، العدد 17، 2007.9
- 9-رضوان السيد، التعدد والتسامح والاعتراف - نظرة في الثوابت والفهم والتجربة التاريخية، مجلة التسامح، العدد 12، 2005.
- 10-رضوان السيد، القرآن والتاريخ - الرؤية القرآنية في الأمم والحضارات، مجلة التسامح، العدد 29، 2009.
- 11-رضوان السيد، الإسلام ومشكلات الدولة الحديثة، مجلة التسامح، العدد 5، 2001.
- 12-رضوان السيد، نقاش الدولة المدنية بعد الثورات، جريدة الاتحاد، تاريخ 2013/2/24

(28) رضوان السيد، مأزق الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص6